

# نزاع ناغورني قره باغ هاجس يوقظ النزعة العرقية في إيران

## طهران تتخلّى عن حيادها في الصراع الأرمني - الأذري خشية ارتداداته على أمنها الداخلي



### اختبار حقيقي آخر للنظام الإيراني

العرقية ليست الدافع وراء التحول الخطابي المواجه في طهران لدعم باكو. لكن أي دولة تقدم واجهة عدوانية باستمرار للمجتمع الدولي لا يمكنها أن تتوقع الفوز بميزة على المدى الطويل وهناك مؤشرات على أن الأوراق لم تعد تسقط في طريق طهران رغم الضغوط الغربية عليها.



أليكس فاتانكا  
مجرد الإشارة إلى قيام إيران بإمداد أرمينيا بالسلاح مقلق لنظامها

ويواصل الرئيس دونالد ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو اتباع موقف متشدد ضد إيران، ففي العام الماضي، صنفت الإدارة الأميركية الحرس الثوري كيانا إرهابيا، وفي يناير الماضي، أمرت بشن غارة جوية أدت إلى مقتل قائد الحرس الثوري سليمان في العراق. وقد تم الاحتفال بسليمان، كبطال قومي في إيران، وكان يُنظر إليه أحيانا على أنه ثاني أقوى شخص في الجمهورية الإسلامية، ولكن من الواضح أن وفاته حولت الكثير من الحسابات الإقليمية.

كانوا تحت الحكم الروسي/ السوفييتي منذ أوائل القرن التاسع عشر، فإن المجتمع الأذري الإيراني هو اليوم أكثر وعيا بالديناميات الكامنة وراء الصراع الأرمني الأذري وأكثر حماسا وراء باكو.

ويعتقد المحلل السياسي فاتانكا أن هذا يشكل مصدر قلق خطير لإيران كونها دولة متعددة الأعراق، وهي ليست مستعدة للتعامل مع انتفاضة بين الأقليات المتضررة الأخرى التي أشعلها الصراع بين أرمينيا وأذربيجان. وبالفعل، تعتبر المناوشات الدورية مع الجماعات العرقية المسلحة حقيقة من حقائق الحياة في البلاد، حيث في الجنوب الشرقي، على الحدود مع باكستان، تواصل جماعة جيش العدل العرقية البلوشية الجهادية السننية، التي يزعم أنها على صلة بتنظيم القاعدة، استهداف قوات الأمن الإيرانية. كما أن التشدد المستمر ضد طهران أصبح جزءا من الحياة في المناطق الكردية بغرب إيران على الحدود مع العراق.

وفي حين أنه من المبالغة تصوير إيران على أنها "برميل بارود" جاهز للانفجار، سيكون من المضلل كذلك الادعاء بأن الاضطرابات بين الأقليات

وبشكل أكثر تهورا، صاغ زعيم ديني مؤيد للنظام، وهو حسين نوري همداني، الصراع من منظور ديني "ناغورني قره باغ جزء من العالم الإسلامي ويجب أن تعود إلى الدولة الإسلامية ويجب تحريرها".

### قلق القومية

كان الزخم الشعبي الإيراني وراء الانحياز الكامل لبأكو عظيما إلى درجة أن طهران لم تسمح حتى لشراكة أذربيجان الوثيقة مع إسرائيل بأن تتفق في طريقها. فأذربيجان، واحدة من أربع دول ذات أغلبية شيعية في العالم إلى جانب إيران والعراق والبحرين، لديها علاقات اقتصادية وعسكرية واستخباراتية وثيقة مع إسرائيل، العدو الإقليمي لطهران. لكن هذا كان واقعا منذ حوالي عقدين، وتعلم الإيرانيون التكيف معه.

وبمتهنته البساطة، لا تقف إيران في وضع يمكنها من التصرف ضد الأقلية الأذرية الخاصة بها. وعلى عكس مطلع تسعينات القرن الماضي، عندما كان انهيار الاتحاد السوفييتي مجرد فتح المجال للأذريين الإيرانيين لإعادة الاتصال بإخوانهم في الشمال، الذين

وأعلن البيان حينها أنه "لا شك" في أن منطقة ناغورني قره باغ الانفصالية تابعة لأذربيجان. ومع ذلك، صدر البيان في الوقت، الذي كشفت فيه التقارير حيادها واستعدادها للوساطة بين بريغان وباكو وجرح الادعاءات بانها انحازت إلى الأذريين.

وحدثت إيران الخلاء الماضي، والتأكيد على استعدادها للتوسط بين البلدين. وقال المتحدث باسم الحكومة علي بيبي خلال مؤتمره الصحفي الأسبوعي "كما أعلننا سابقا، نؤيد أي مبادرة من شأنها أن توقف الحرب بين أذربيجان وأرمينيا، وإيران مستعدة للتوسط بينهما، وقد أعلننا مرارا وتكرارا عن استعدادنا للمساعدة في حل الأزمة". ورغم توقيع وقف إطلاق النار في نهاية حرب 1988 - 1994، انخرطت الدول المجاورة في جولات متعددة من القتال في السنوات التي تلت ذلك، بما في ذلك، مؤخرا، في وقت سابق من هذا الصيف. وفي مطلع أكتوبر، أصدر الممثلون السياسيون للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي في أربع محافظات من شمال غرب البلاد، التي يسكنها عدد كبير من السكان الأذريين بيانًا مشتركًا لدعم أذربيجان، في محاولة لصد أي محاولات لتسلسل الاحتجاجات إلى الداخل.

لا يعتبر المحللون السياسيون أن المارك الأخيرة حول إقليم ناغورني قره باغ الانفصالي طارئة بالنظر إلى كونها امتدادا لحرب بدأت قبل ثلاثة عقود ولم تتوقف إلا بهدنة هشة، غير أن معالمها الإثنية برزت بوضوح من خلال تسرب القلق القومي إلى داخل إيران، حيث سيطرت عليها هواجس من فخر نزع عرقية لا يمكن السيطرة عليها، وهذا ما جعلها تتخلّى عن حيادها "مؤقتا" حتى تتمكن من صد المخاطر، التي قد تنجر بسبب مواقفها من النزاع بين أرمينيا وأذربيجان.

لندن - يصر القتال بين أرمينيا وأذربيجان في إقليم ناغورني قره باغ الانفصالي هواجس إيقاظ النزعة العرقية في إيران، لكونه يأتي في وقت سيء للغاية بالنسبة إلى طهران، فداخلها، تواجه وضعًا اقتصاديا صعبا للغاية نتيجة العقوبات الأميركية القاسية، وفي الخارج، فتحت على نفسها جبهات في العراق وسوريا حتى تعزز نفوذها الجيوسياسي. ورغم أن إيران قد ترغب في الانخراط في الصراع بجنوب القوقاز، حيث لعبت دور الوسيط من قبل، إلا أن اليكس فاتانكا، مدير برنامج إيران وزميل بارز ببرنامج فرونتير بيروب بمعهد الشرق الأوسط في واشنطن، أشار في تقرير نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأميركية، إلى أن "قدرتها على القيام بذلك أقل بكثير مما قد يوحي به قربها الجغرافي من الصراع".

### امتداد صراع ناغورني قره باغ إلى الأقلية الأذرية في إيران سيؤدي إلى اندلاع معركة لا يمكن للحكومة احتواؤها

وبعد أيام من اندلاع أعمال العنف وإدراكها منها أن النهاية السريعة المعتادة لم تكن وشيكة غيرت طهران فجأة خطابها الدبلوماسي من التركيز على حيادها واستعدادها للوساطة بين بريغان وباكو وجرح الادعاءات بانها انحازت إلى الأذريين.

وحدثت إيران الخلاء الماضي، والتأكيد على استعدادها للتوسط بين البلدين. وقال المتحدث باسم الحكومة علي بيبي خلال مؤتمره الصحفي الأسبوعي "كما أعلننا سابقا، نؤيد أي مبادرة من شأنها أن توقف الحرب بين أذربيجان وأرمينيا، وإيران مستعدة للتوسط بينهما، وقد أعلننا مرارا وتكرارا عن استعدادنا للمساعدة في حل الأزمة". ورغم توقيع وقف إطلاق النار في نهاية حرب 1988 - 1994، انخرطت الدول المجاورة في جولات متعددة من القتال في السنوات التي تلت ذلك، بما في ذلك، مؤخرا، في وقت سابق من هذا الصيف. وفي مطلع أكتوبر، أصدر الممثلون السياسيون للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي في أربع محافظات من شمال غرب البلاد، التي يسكنها عدد كبير من السكان الأذريين بيانًا مشتركًا لدعم أذربيجان، في محاولة لصد أي محاولات لتسلسل الاحتجاجات إلى الداخل.

والأسوأ من ذلك، وفق فاتانكا، أن طهران لا تتمتع بالاستقلال الدبلوماسي الذي كانت تتمتع به في أوائل التسعينات، عندما اندلع القتال الأخير بين أرمينيا وأذربيجان على إقليم ناغورني قره باغ المتنازع عليه وعندما تمكن الإيرانيون من العمل بشكل أكثر فعالية بين الجانبين.

### التخلي عن الحياد

يتعين على طهران أن تجلس في المقعد الخلفي لروسيا وتركيا والغرب لأن هذه القوى تشكل مسار الصراع. ومع ذلك، وبفضل الأقلية الأذرية الكبيرة في إيران، والتي يبلغ قوامها حوالي 20 مليون شخص، هناك احتمال حقيقي بأن الصراع الأرمني الأذري قد يفضي وبشكل خطرا جسيما على الأمن الداخلي الإيراني. ومن المؤكد أن طهران لا تريد أن تخسر في هذا الصراع، لكنها ضعيفة الآن، وقد

# أزمة كورونا تعري إشكاليات البحث العلمي في المنطقة العربية

ويبدو من الملح أن تتجه الحكومات العربية إلى تخصيص وزارات بالبحث العلمي تكون لها ميزانية مستقلة وهو أمر هام لأن التنمية في البلدان العربية باتت تعتمد أكثر من أي وقت مضى على منتج البحث العلمي باعتباره يساعده في وضع توصيات تساعد الجهات المعنية النظر إلى توفير تلك الدول وبشكل غير مسبق المراجع العلمية اللازمة بالمجان لمجتمع البحث العلمي.

وحتى تساعد في هذا العمل، اتخذت بعض الحكومات العربية خطوات لدعم الابتكار وأنشأت صناديق لدعم المبتكرين من أموال خارج الميزانية السنوية، فضلا عن صناديق أخرى للإنفاق على البحث العلمي، وهو ما يعتبر ثقافة جديدة بالنظر إلى سنوات خلت، خاصة إذا ما تم النظر إلى توفير تلك الدول وبشكل غير مسبق المراجع العلمية اللازمة بالمجان لمجتمع البحث العلمي.

وحتى تساعد في هذا العمل، اتخذت بعض الحكومات العربية خطوات لدعم الابتكار وأنشأت صناديق لدعم المبتكرين من أموال خارج الميزانية السنوية، فضلا عن صناديق أخرى للإنفاق على البحث العلمي، وهو ما يعتبر ثقافة جديدة بالنظر إلى سنوات خلت، خاصة إذا ما تم النظر إلى توفير تلك الدول وبشكل غير مسبق المراجع العلمية اللازمة بالمجان لمجتمع البحث العلمي.

### ثمة عقبتان تواجهان البحث العلمي عربيا؛ الأولى ضعف التمويل، والثانية تتمحور حول الخلل التنظيمي في ربط المؤسسات

ورغم تلك الخطوات، ثمة عقبتان رئيسيتان تواجهان البحث العلمي في معظم أنحاء المنطقة العربية؛ الأولى تتعلق بتوفير الميزانية المخصصة للبحث العلمي، ففي معظم الأحيان تكون ضعيفة، أما العقبة الثانية فتتمحور حول الخلل التنظيمي والبيروقراطي في ربط وزارات التعليم بمجال البحث العلمي.

السعودية، وهي جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست)، حجرت مكانا في قائمة أفضل مئة مؤسسة بحثية على مستوى العالم. ويرى محللون وأكاديميون وباحثون من جامعات عربية أن هناك درجة من التفاوت بين دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في واقع البحث العلمي بسبب الظروف السياسية، فقد استطاعت بعض الدول اجتياز هذه المرحلة وابت البحث العلمي فيها على الطريق الصحيح مثل مصر والسعودية والخليج وبعض دول الشمال الأفريقي وذلك طبقا للمؤشرات الدولية التي تشمل إجمالي عدد الأبحاث والبراءات والترتيب في مؤشر الابتكار العالمي.

وخلال السنوات الأخيرة، اتجهت الأبحاث العلمية إلى التعامل مع المشكلات المحلية فقط، ولا تظهر مشاركتها إلى العلن مع الدول المتقدمة في هذا المضمار، وهي الدول الأوروبية والولايات المتحدة والصين، ودرجة أقل روسيا، حيث تركز المراكز البحثية العربية على التعامل مع مشكلات تبدو في نظر السلطات أمرا ملحا، مثل بحوث الطاقة المتجددة والزراعة وكذلك المياه، التي تتأثر بالنصيب الأكبر من التمويل، والتي أغلبها يأتي من الحكومة.

الأبحاث العلمية في مؤسسات بالدول العربية، ولكن ما يثير التساؤل بالفعل هو مدى فاعلية تلك البحوث ومدى الزخم الذي ستعطيها من أجل الدخول في سياق البحث عن دواء لوباء شكل مشكلة كبيرة بالنسبة إلى كبرى مراكز الأبحاث حول العالم.

تظهر بيانات المؤشر الصادرة قبل فترة أن جامعات السعودية والإمارات ومصر بالأخص قدمت أداء قويا منذ بداية العام حتى إن إحدى الجامعات

وهو تحد يُحتم التشبيك مع المؤسسات البحثية الرائدة خارج البلاد، فعادة ما تلجأ الجامعات العربية إلى التعاون مع باحثين من الولايات المتحدة وأوروبا نظرا للافتقار إلى شبكة محلية أو عربية تؤسس لشركات تطويرية في نسق البحث.

لقد كشف تصنيف مؤشر نيتشر لعام 2020 المبني على عدد البحوث المنشورة في مجموعة مختارة من الدوريات العلمية عالية الجودة، عن زيادة معدلات نشر



مجال لا يلقى الرعاية الكافية



رياض بوعزة  
كاتب وصحافي تونسي

تونس - في خضم معركة العالم حول الريادة وخاصة في مجال البحث العلمي من أجل إيجاد لقاح لمرض فايروس كورونا المستجد، تبدو معظم مراكز الأبحاث العلمية والجامعات العربية بعيدة عن السباق، ومع ذلك من الواضح أن الفرصة سانحة اليوم من أجل إعادة تقييم برامج الحكومات والحصص التمويلية المخصصة لهذا المجال الحيوي.

ورغم المحاولات، التي تجريها مراكز بحثية صحية في تونس والسعودية ومصر والإمارات، على سبيل المثال، لمعاضدة الجهود الدولي في المجال الطبي بغية تحقيق نتائج تخدم البشرية، إلا أنها تبقى مجرد مساع قد لا تأتي بنتائج مهمة. وحتى الآن حددت منظمة الصحة العالمية 42 لقاحا يمكن استخدامها في التجارب السريرية ولا توجد أي دولة عربية مشاركة في هذا السباق. وتمثل العوائق الاقتصادية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تحديا للجهود بالبحث العلمي في المنطقة وجهود التعاون على المستويات العليا،